

البيئة وأثرها عند العرب قبل الإسلام في قيام الحروب وانعكاساتها على حياتهم الاقتصادية والاجتماعية سمية علي ميلاد صبرة*

تاريخ الاستلام: 2026.07.20، تاريخ القبول: 2026.08.10، تاريخ النشر: 2026.09.30

الملخص:

إن موضوع الحرب من المواضيع المهمة التي تستحق الدراسة والبحث والتي شغلت كثيراً من الباحثين والذين تعرضوا لها بالدراسة، والتحليل لأسبابها ودوافعها، إذ ارتبطت حياة الإنسان منذ الخليقة على سفك الدماء وحبه للدين، ودفاعه عن نفسه فقد اتسمت الحياة الإنسانية بكثير من التناقضات، فالموت يطارد الحياة، والعدل يواجه الظلم، والحرب نقيض السلم، فعند العرب عرفت تلك الحروب بأيام العرب والتي جرت بين القبائل البدوية، وأيام العرب كثيرة جداً، وقد يكون من المتعذر الإحاطة بها لأن سكان الجزيرة العربية والبدو منهم بصورة خاصة كانوا في حرب تكاد تكون دائمة وذلك لأسباب أملت على بيئتهم الطبيعية، وكان أبرزها العامل الاقتصادي يضاف إليه التعصب القبلي والتأثر للكرامة، وحفظ الجار والانتصار للحليف.

الكلمات المفتاحية: البيئة، أثرها، العرب، الحروب، انعكاساتها.

* عضو هيئة تدريس محاضر بقسم التاريخ -كلية الآداب مسلاتة -جامعة المرقب

The Environment and Its Impact on the Arabs Before Islam in the Outbreak of Wars and Their Effects on Their Economic and Social Life

Sumaya Ali Milad Sabr

Received: Jul. 20, 2026; Accepted: Aug. 10, 2026 Published: Sep. 30, 2026

Abstract:

The subject of war is one of the important topics that deserves study and research, and it has preoccupied many researchers who have studied and analyzed its causes and motives. Human life has been linked since creation to bloodshed, love of the world, and self-defense. Human life has been characterized by many contradictions: death pursues life, justice confronts injustice, and war is the opposite of peace. Among the Arabs, these wars were known as the Days of the Arabs, which took place between the Bedouin tribes. The Days of the Arabs are very numerous, and it may be impossible to encompass them because the inhabitants of the Arabian Peninsula, and the Bedouin in particular, were in a state of almost constant war due to reasons dictated by their natural environment. The most prominent of these reasons was the economic factor, in addition to tribal fanaticism, revenge for honor, protecting the neighbor, and supporting the ally.

Keywords: Environment, Its Impact, Arabs, Wars, Their Implications

مقدمة:

يتناول هذا البحث الجانب الدموي جراء الحروب وما يلحق بها من دمار اقتصادي واجتماعي، فلقد أخذت النزاعات جانباً واسعاً من حياة الأمم عبر

مختلف العصور قديماً وحديثاً، فقد لاحظ الإنسان بأن استمراره مرتبط بالإفناء حتمية التدمير لغرض العيش، فكان اقتلاع النباتات بالنسبة إليه قتلاً، وقنص الحيوانات قتلاً، وحصد المحاصيل قتلاً، إنها دورة وجودية تتداخل الحياة والفناء، فالحياة تستمر بالقتل، وتتغذى على الموت، والموت يتغذى على الحياة، وتؤكد الشواهد التراثية بوضوح ما وصل إلينا من تراث عن الحضارات الغابرة.

ومهما قيل في الحرب وويلاتها ومآسيها وبصرف النظر عما ألحقته بالإنسانية من دمار وخراب، فقد كانت الأداة المختارة للانتخاب الطبيعي بين الأمم والجماعات، كما كانت عاملاً قاسياً في إهلاك الشعوب الضعيفة، ورفع مستوى الإنسان من حيث الشجاعة والذكاء والمهارة، ومما يتصل بطبائع العصر الجاهلي العدوانية، وذلك القانون التاريخي الذي انتبه إليه ابن خلدون، وقرر في صياغته له أن العرب إذا تغلبوا على البلدان تعجل إليها الخراب بانهايار عمرانها؛ وذلك لأن من طبيعتهم نهب ما في أيدي الناس، ولأن رزقهم في ظلال رماحهم، ولأنه ليس عندهم في أخذ أموال غيرهم والاستحواد على مقدراتهم.

فقد أصبحت الحروب عند العرب قبل الإسلام هاجساً وهماً ملازماً للفرد في أغلب أوقاته، فكانت الظروف البيئية والجغرافية والصحراوية القاسية التي تعيش فيها أغلب القبائل العربية جعلتهم يتزاحمون ويتنافسون على الموارد الاقتصادية فيما بينهم لتأمين سبل الحياة، فحتم عليهم أن يكونوا حذرين يخشون سلب ديارهم طمعاً في الماء والكلاء، وما إلى ذلك من أهمية لمواطن القبيلة، لقد نظر العرب إلى الحرب بقدرسية، وتعايشوا معها؛ لأنها مسألة مصيرية تتعلق بالبقاء الوجودي، ودفاعاً عن الشرف والأرض والحمى، في المقابل هناك من يريد أن يسلب هذا المقدس لكي ينعم في عيشة أفضل ويمد من نفوذه متجاوزاً القبائل الأخرى.

- هدف الدراسة:

- التعرف على الظروف البيئية القاسية والتي كان العرب قبل الإسلام يتعايشون فيها، وكيف أثرت على حياتهم اقتصادياً واجتماعياً.
- الأبعاد السياسية وعدم المركزية وأثرها في اشتعال الحرب على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي.
- تساؤلات الدراسة:

- 1- البيئة الجغرافية وأثرها في عدم تأسيس نظام مركزي لتلك القبائل العربية قبل الإسلام؟
 - 2- هل الصحراء هي الدافع الرئيسي وراء الصراع بين القبائل العربية قبل الإسلام أم هناك أسباب أخرى كانت تسعى وراءها تلك القبائل؟
 - 3- كيف أثرت الحروب على القبائل العربية قبل الإسلام اقتصادياً واجتماعياً؟
 - 4- الشعر والشعراء وتفاخرهم ودورهم البارز في الصراعات بين هذه القبائل؟
 - 5- الآثار المتسببة في الحروب بين هذه القبائل؟
 - 6- هل هناك مكان للسلم بين تلك القبائل العربية أم لا؟
- قسم البحث إلى ثلاثة مباحث:

ففي المبحث الأول يتناول الظروف البيئية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وأثرها في الصراعات الداخلية، والمبحث الثاني يتحدث عن الحرب وأثرها على الاقتصاد، والمبحث الثالث التفاخر بين القبائل بالحروب من خلال فروسياتهم وشجاعتهم في أشعارهم.

- المبحث الأول: الظروف البيئية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وأثرها في الصراعات الداخلية:

تعتبر البيئة من أهم نعم الله علينا، ودمار البيئة هو تدمير للحياة البشرية جمعاء، فالحروب التي جسدت عن أنانية الإنسان ورغبته في حب الذات والشغف بالتملك

جعلته يعاني من مآسي وويلات النزاعات والحروب، وكان امتلاك العرب قبل الإسلام لمصادر الطبيعة كالماء يعد من المآثر التي يفخرون بها على سواهم⁽¹⁾، حيث يطغى القحط على مناخ شبه الجزيرة العربية بصفة عامة مما يدعم على غلبة السمة الصحراوية عليها، لأن تركيبة معظم أراضي شبه الجزيرة العربية من صحارى وبوادر وسهول غلبت عليها الطبيعة الصحراوية مع اختلاف طبيعة تضاريسها، إذ إن بعضه مغطى بالكتبان الرملية، وبعضه الآخر عبارة عن تلالاً مرتفعة وسلاسل جبلية ومنخفضات غائرة⁽²⁾، ولا يعلم بأرض العرب نهراً ولا بحراً دائم الجريان، وهو ما شكل ركيزة أساسية مساعداً على قسوة المناخ وقحط شبه الجزيرة العربية وأثراً أساسياً في اشتعال الحروب بين القبائل العربية⁽³⁾.

وعلاوة على ذلك تضافرت عوامل ودوافع متعددة جعلت الصراعات والحروب بين القبائل العربية ظاهرة شبه مستمرة طوال العصر ما قبل الإسلام والتي من أهمها، سمات المناخ الجاف الشحيح، فإن ضيق سبل كسب الرزق في شبه الجزيرة العربية خلق حركة مستمرة من التنقل الدائم نحو الماء والمرعى، حيث كان النزاع نحوهما سبباً في قيام نزاعات وصدامات بين الأطراف المتنافسة، أو بين العابرين والمقيمين بهذه الأماكن سابقاً.

وإذا كانت الأرض صحراء قاحلة، قليلة العشب والماء، أو أرضاً صخرية تتعدم فيها الأراضي الخصبة، فمن الطبيعي أن يكون هناك النزاع والاختلاف والحروب الدامية، فالحروب في العصر الجاهلي كانت صراعاً واقعاً متلهباً بالنزاعات

(1) رنا طعيمة حسن الصافي، الأثر الجغرافي وأبعاده في بلورة الفكر الديني في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة دكتوراه في التاريخ العربي، ص 17-18.

(2) محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، 2009، ص 13.

(3) شاكر مجيد كاظم، حرب المياه عند العرب قبل الإسلام، كلية التربية، جامعة واسط، ص 348.

المستمرة، وكانت القبائل في حركتها الدائبة مستمرة من أجل لقمة العيش وجرعة الماء ونزعة الهيمنة، لا تكاد تنفض أيديها من المعارك حتى تتخبط في معركة أخرى⁽¹⁾.

ليس خافياً أن الحياة والموت هما المقومان الرئيسيان للوجود البشري، وهما مقومان متكاملان، لا يمكن فهم ماهية أحدهما بمعزل عن الآخر، فمن هنا كان الموت وسيظل معضلة فلسفية وجودية شاملة ومستمرة، تماماً كما هي الحياة الدنيا، فالحياة والموت مرتبطان كالوجود واللاوجود، متلازمان تلازم الليل بالنهار، وثنائية متكاملة كالأبيض والأسود، فجميع الأشياء تبرز قيمتها عبر ثنائية المتناقضات⁽²⁾.

وأن العلاقة بين العربي والبيئة علاقة تأثر وتأثير، تعكس عمق الاستجابة النفسية والانفعالية والمشاركة الوجدانية بينه وبين عناصرها، فيتأثر بها وينفعل فيضفى عليها أحاسيسه ومشاعره ويذوب في كل عنصر من عناصرها، وتؤثر هي أيضاً في طبيعة تكوينه الجسماني والنفسي، ولأن العربي عاش في صحراء جرداء شديدة الجذب، كان حتماً عليه أن يعيش في صراع دائم معها فأدرك تأثيرها فيه، وكان لزاماً عليه أن يظل معتمداً على قومه لدرء الخطر عن نفسه والتصدي لأعدائه، وتأمين عيشه وسلامته لذلك كان الفارس حامي الحمى مفخرة ومكرمة

(1) عبدالرحمن غفيف، الشعر وأيام الحرب في العصر الجاهلي، دار الفجر العربي، بيروت، 1982، ص7.

(2) ابتسام نايف صالح، صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، العراق، غير منشورة، 2006، ص 25.

من مكارم عشيرته، ومفخرة من مفاخرهم التي يتغنون بأمجادها ويخلدون نكراها⁽¹⁾.

البيئة البدوية بيئة غزو وغارات، وبم أن الصحراء محدودة الخيرات ونادرة الغطاء النباتي، فالقبيلة التي تشعر بأنها لا تمتلك موارد الرزق والمعيشة وتفتقر إلى المقومات الأساسية التي توفر كسب عيشها، ترى من حقها أن تستحوص على مقدرات غيرها، حتى تحولت الغارات إلى جزءاً من عقلية البدوي وركيزته، فإذا لم يجد من يغزوه من أعدائه أو من البعيدين عنه، أغار على من يجاوره في السكن، أو حتى على ذوي قرياه.

فمناخ شبه الجزيرة العربية يسوده الجفاف بوجه عام، الأمر الذي يعزز غلبة السمة الصحراوية الجافة عليها، ويبدو أن هذه الطبيعة المناخية ناتجة من موقع شبه الجزيرة العربية ضمن النطاق الممتد بين المدارين (رأس الحمل ورأس السرطان)، بحيث تكون الشمس على سمت رؤوسهم مثل الأحباش، لكن صيرورة بلاد شبه الجزيرة العربية في نهاية هذا الموقع جعلهم معتدلين نسبياً⁽²⁾.

فالكلاء والمرعى يعتمد وجوده أساساً على هطول المياه، فإن وُجد الماء وُجد الكلاء وازدهر الغطاء النباتي، وإن لم يوجد الماء فقد الكلاء وحل القحط، وكان وجود الكلاء وانتشاره من مسببات الحرب والنزاع القبلي واندلاع المعارك في العصور الجاهلية، حيث كانت القبائل تهاجم الواحات الخصبة من أجل الحياة والعيش.

فالعامل الاقتصادي كان أساسه نابعاً من طبيعة البيئة الصحراوية القاسية "فإذا أخلفت وجفت السماء وأجدبت الأرض، أكل بعضهم بعضاً"، فالصراع على

(1) نوري حسين القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، ط2، مكتبة النهضة العربية، 1984، ص 47.

(2) رنا طعيمة حسين الصاقي، مرجع سابق، ص 17-18.

أسباب الحياة كان ظاهراً عند العرب قديماً، وهذا يبين لنا سبب ارتحال البدوي خلف غيوم الأمطار ورحيله وراء خطوط الماء، فالأرض الخصبة كثيرة الماء والعشب كانت مطمئناً لكل قوي، وذلك بسبب غياب نظام حكومي موحد يحقق الأمن التي تحكم أهل البادية، فالقوي يأكل الضعيف ويسلبه وينهب ممتلكاته⁽¹⁾. أدى خوف الإنسان البدوي على حياته أمام الصحراء قد تحول إلى حذر عدواني هيمن على مشاعره الظائمة إلى الاستقرار والشعب، فالقفر محيط غادر لا يعطي دون مقابل يستنزف طاقة الجاهلي من روحه، فكان في صراع مستمر معها وصار ينظر إلى الصحراء على أنها بيئة للمفارقة لكون العيش فيها عابراً، فالأرض تفقد خصوبتها، والمحيط الجغرافي يذبل نضيره يدفع بالإنسان من جديد نحو دوامة الشقاء، فيهجّر إلى جنة أخرى قد يجد فيها من سبقه إليها، الحاجة تلح عليه فيلجأ إلى الغزو ويختار سفك الدماء ثمناً لحيازتها، فهو أسيراً لهذه الثنائية المتلازمة والمتداخلة الأبعاد والأطراف بين جنة الحياة وجحيمها حيث يواجه مصيراً حتمياً لم يتخيره، وإنما فرضته عليه ظروف جغرافية واقتصادية⁽²⁾، وتضافرت عوامل اجتماعية تلبي غرائزه الانتقامية والنزال والغلبة، ونيل الكرامة والحرية والاستقلال⁽³⁾.

ونتيجة ذلك، أصبحت الحروب العسكرية قاعدة ثابتة من قواعد الحياة في العصر الجاهلي، وشريعة مقدسة يحققون من خلالها وجودهم وسط مجتمع تحكمه سلطة البأس والبطش، فيقدموا أرواحهم فداء لها، إذ كان باستطاعتها إعلاء منزلة قبيلة

(1) ابتسام نايف صالح، مرجع سابق، ص 30.

(2) أمل كبير، أيام العرب في الجاهلية، بانوراما شعرية مرعبة، مجلة حوليات التراث، العدد 15، 2015م جامعة تبسة، الجزائر، ص 94-95.

(3) ابتسام نايف صالح، مرجع سابق، ص 31.

أو إذلالها، وفي الطريق المليء بالعذاب والقتل والدمار، وذلك سعياً وراء مآرب البدوي لنيل أعلى المراتب في ذلك المجتمع⁽¹⁾.

وتحت وطأة هذه الأسباب والدوافع الضرورية، اهتم العربي القديم بالمراعي والغطاء النباتي وأماكن وجوده، وراح يبحث عنها أينما حلت، ومن شدة ارتباطه ببيئته أخذ يشبه الحرب بها، وبعد أن تميز في دلالته، فأصبح بحر الموت والخراب بدلاً من النماء والرخاء، وفي هذا الصدد، تبارى الشعراء في قصائدهم بالافتخار بقدرة قبائلهم على ارتياد أي مرعى بالقوة، كقول الشاعر عوف بن عطية:

ونرعى ما رعيننا بين عبسٍ

وطيئها وبين الحي نكير

وكُلُّهم عدُوٌّ غيرُ مُنقٍ

حديثُ قرحة يسعى بوتراً⁽²⁾

كما أن اختلاف القبائل في النسب والعرق سبب لا يُستهان به في تفجير طاقات تلك الحروب، إذ أن كل قبيلة تسعى إلى بسط سيطرتها على الأخرى، حيث ترى في نفسها السيطرة والتمتع بالحرية، وذلك راجع لطبيعة النظام السائد عند هذه القبائل في ذلك الوقت يعمل بطريقة أو بأخرى إلى تسعير الحرب والاحتواء بها، سواء كان سبباً أو بعيداً عنها، وكان أفراد القبيلة جميعاً يضعون أنفسهم في خدمتها وخدمة حقوقها⁽³⁾، فقد عرف عن القبائل العربية التعصب الأعمى لبعضهم البعض، يقول دريد بن الصمة مظهراً ذلك التعصب لقبيلته:

(1) عبدالرحمن عفيف، مرجع سابق، ص 37.

(2) ابتسام نايف صالح، مرجع سابق، ص 40-41.

(3) ضيف الله محمد عواد المزليدة، صورة الشاعر المحارب في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير،

وما أنا إلا من غزِيَّةٍ إن عَوْتُ غَوِيْتُ وإن تَرَشُدْ غَزِيَّةٌ أَرشُدْ

وتقوم الحرب كذلك طلباً للثأر، فمن ذلك ما حدث بين قبيلتي بكر وتغلب في حرب البسوس، والتي كان سببها مقتل كليب بن ربيعة التغلبي على يد ابن عمه، فجد أخوه يطلب الثأر، ودامت رحاها أربعين سنة، كما كان أخذ الثأر سبباً في تغير مجرى حياة الشاعر، فقد أصبح امرؤ القيس فارساً بعد مقتل أبيه بعد أن كان غارقاً في لذاته ولهوه، وفي ذلك يقول:

صَيَّعْنِي صَغِيرًا وَحُمِّلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا

لا صَحْوَ الْيَوْمِ وَلَا سُكْرَ غَدَا

الْيَوْمَ حَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ

وأقسم أن يثأر لأبيه⁽¹⁾

ويكشف لنا ديوان عامر بن الطفيل عن مدى انفعال الشاعر بتحديات واقعه البيئي والإنساني وعمق المواجهة المستمرة لآثارها من خلال الصراع المادي الذي أفرزته البيئة الصحراوية والتي شكلت عناصر الفروسية أو الجماعية فيقول:

لله غارتنا والمحل قد شجيت

منه البلاد فصار الأفق غرياناً

حتى صببنا على هَمَازٍ صَيِّقَةً

سُورُ الْكَلَابِ وَمَا كَانُوا لَنَا شَأْنًا⁽²⁾

فظل بالقاع يوم لم ندع كَتَدًا

جامعة مؤتة، العراق، غير منشورة، ص 11-12، 2013.

(1) أمال كبير، مرجع سابق، ص 95.

(2) ليلي نعيم عطية الخفاجي، البواعث النفسية في شعر فرسان عصر ما قبل الإسلام، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، العراق، 2002، ص 15.

إلا ضربنا ولا وجهًا ولا شابًا

وعلى الرغم من هيمنة النزاعات والحروب على وجدان العرب قبل الإسلام، إلا أنهم فرضوا على أنفسهم ألا يقتتلون في الأشهر الحرم، إجلالاً لقداستها؛ ولأنها جرت في دمائهم، بحيث لم يكن بمقدورهم التوصل منها، فتجاوزوا حرمة هذه الأشهر، وعرفت هذه الحروب بأيام الفجار؛ لأن فيها تمهيداً وخروجاً عن الشريعة المتوافق عليها؛ ولأن المتورطين فيها كان قد فجر فيها بخروجه وانتهاكه قدسية ذلك النطاق الزمني لهذه الأشهر الحرم، حيث كانت هذه الأشهر الحرم متفصلاً سليماً بمثابة استراحة أو هدنة تأخذها القبائل، يضمن فيه الإنسان البدوي سلامة نفسه، ويأمن على عياله وحلاله⁽¹⁾.

لذا يمكن القول إن الطبيعة الجاهلية السائدة آنذاك هيأت للعرب مناخاً قسرياً وظروفاً جعلتهم يتشاجرون ويتنازعون ويتحاربون، وعزز من حدة النزاعات قد عامل محوري قوي يكمن في غياب سلطة مركزية عامة ينقاد لها سائر العرب، فغياب حكومة عليا تبسط وتتولى تنظيم مصالح البلاد كلها، وتكفل تطبيق القانون والعدل بين الناس على السواء محققة المساواة والنصرة للمستضعفين، وتأخذ، ويمتثل لها الجميع بالولاء، وهو العامل المباشر والأساسي في تأجيج الصراعات والصدامات وانتشار الفوضى، وفي ظل هذه النزاعات وظروفها وملابساتها المشحونة بالمعارك المستمرة تعذر البقاء فيها إلا من كان قوياً مرهوب الجانب، أما الضعيف أو التخاذل؛ فمأكول ومهان، لذلك ركز العربي في ذلك الوقت أن يسعى جاهداً لتقوية نفسه وأن يثبت لغيره أنه شجاعاً، لكي يهابه

(1) ابتسام ثابت صالح، مرجع سابق، ص 45.

الجميع، ويخشوا بأسه وقد أحسن التعبير عن ذلك ما صوره النابغة الذبياني في قوله:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي صولة المستأسد الضاوي⁽¹⁾

ومن جملة التداعيات التي خلفتها هذه الحروب أيضًا تفشي ظاهرة وأد البنات، وهي ظاهرة اجتماعية غاية في الخطورة والتهديد، وقد وأد العرب قديماً بناتهم لعدة دوافع، من بينها السعي للحفاظ على السكينة العامة، وتقادي تفكك النسيج الاجتماعي⁽²⁾.

المبحث الثاني : الحروب وأثارها الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام

يرتبط الوضع الاقتصادي عادة بطبيعة الإقليم؛ إذ تسهم الطبيعة مساهمة بالغة في تحديد خبرات الأقاليم وإنتاجها الزراعي والحيواني والصناعي، وقد أثرت طبيعة البيئة الصحراوية في شبه الجزيرة العربية في تكييف اقتصاد العرب في الحقبة الجاهلية، وساهمت في حصر موارده، فحددت للعرب ماهية مواردهم

(1) علي الجندي، شعر العرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1966، ص 20-21.

(2) محمد وقيع الله، نظرة معاصرة إلى أيام العرب وحالة انفراط السلام، مجلة البيان، العدد 312، 2013، ص20.

الشحيحة، مما جعل سكان المناطق الصحراوية بشكل رئيس يعتمدون على المرعى المتنقل لمواشيهم وأنعامهم وعلى التجارة⁽¹⁾.
فالعامل المادي لا يزال من أهم الركائز التي ترسم المسارات والطرق السياسية، ليس على مستوى التجمعات العشائرية فقط، بل يمتد ليشمل نطاق الممالك والكيانات السياسية الكبرى، كذلك بالنسبة للقبائل العربية فإن هذا العامل يتبلور عبر اتجاهين رئيسيين: الأول يشمل التنازع للوصول إلى ينابيع الماء والمراعي الوفيرة، والثاني الغزوات والحملات العسكرية من أجل الحصول على الغنائم وتأمين المكاسب، وبذلك فإن البيئة وقلة الموارد أثر كبير في طبيعة تلك الصلات، فالماء والكأ عاملان رئيسيان في تكوين الصلات بين القبائل العربية في الحجاز قبل الإسلام لأن الهيمنة على الينابيع تعد مصدراً من مصادر التفوق القبلي، وهذه القوة كثيراً ما دفعت حائزها نحو التسلط والاستعلاء على العشائر الأخرى⁽²⁾.

تصنف وقائع وأيام العرب من أبشع ما نعتت به الحياة العربية قبل الإسلام، فالحياة الاقتصادية القاسية والنزوع إلى الحرب كانت تحرم الإنسان حقه من العيش في سلام وطمأنينة، وغالباً ما تمتد لعشرات السنين لتزهق الأنفس وتحصد الأرواح، حتى أصبحت تلك الأيام تكشف عن صورة رهيبة للإنسان الجاهلي الذي يجرد من قيمه وعواطفه الإنسانية نتيجة لما أملت عليه الحرب من جفاء وغل في القلب واستهانة بالأرواح⁽³⁾. فالدافع الاقتصادي كان أساسه طبيعة

(1) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 33.

(2) عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديماً، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 2002، ص 99.

(3) أمال كبير، مرجع سابق، ص 96.

البادية القاسية فإذا أجدبت السماء وجفت الأرض، تحول المجتمع إلى ساحة للنزاع والتناحر، فإن ضيق أسباب الحياة في الجزيرة العربية فرض حركة نزوح مستمرة طلباً للمياه والمناطق الخصبة، فقد فكان التسابق نحوهما سبباً في قيام حروب بين المتسابقين، أو بين الوافدين والنازلين بهذه المواضع من قبلهم.

إذ مثلت المياه في مسيرة الإنسان عنصراً مهماً عبر التاريخ البشري في ازدهار الأمم ونهضتها، لما تشكله الينابيع من أهمية استراتيجية كبيرة في حياة الإنسان العربي، فقد اتسمت نظرتهم لهذا المورد بالتقديس والتبجيل، وكانت الآلهة (مناة) عندهم تمثل إلهة الماء وتمنحهم الخير والعطاء، وأن الحصول على هذا المصدر والسيطرة عليه كان مدعاة لقيام الخصومات والنزاعات بين العرب قبل الإسلام فقد روي أنه لما عاد عبدالمطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم، نافسته بعض بطون قريش ورغبت بأن يكون لها نصيب فيه ولكنه رفض ذلك، مما نتج عنه قيام بعض المشادات بين الطرفين (فقاموا إليه فقالوا إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فاشركنا معك، فقال: ((ما أنا بفاعل، وهذا أمر خُصصت به دونكم قالوا فإتاً غير تاركك))، ولم يقتصر الأمر عند حد المطالبة به بل كان البعض من منافسي عبدالمطلب يتسللون ليلاً فيكسرون حوض البئر فيعيد إصلاحه من جديد، مما يعكس أثر النزاعات السياسية على الماء بين القبيلة الواحدة، فبمالك بصحراء قاحلة تتعدم بها الآبار وتتحبس المياه وينقطع الغيث مما يضطرون إلى الانتقال من مكان لآخر فيه ماء كأن يكون بئراً أو ماء جاري أو عين دائمة والاستحواذ عليها فسراً وقهراً، أو صلحاً دون خوض قتال، وذلك إذا وجد أصحاب الماء أن من غير الممكن لهم مجابهة المهاجمين والغزاة،

وأن خير ما يفعلونه للحفاظ على حياتهم هو استمالة المعتدين وكسب ودهم
بشتى الطرق من غير حرب ولا قتال⁽¹⁾.

وقد اقتضت الإرادة الإلهية نشر السحب وتسيير الرياح فتأتي الأمطار لتغيث
الناس، الأمر الذي أوجد ارتباطاً وثيقاً بين الألوهية والماء البحر، حالة انجذاب
واستقطاب للأفراد والجماعات الإنسانية، لقيامهم من خلال إقامة مأوى سكنية
بجوار البيئات المائية الطبيعية، ولم تنحصر حاجة الإنسان للمياه في نطاق
الأغراض الشخصية اليومية أو الفردية فحسب، كونه يمثل ركيزة أساسية تقتنر
مع الهواء في بقاء الحياة وحمايتها من الفناء ولا عند أهمية الاستقطاب والتجمع
بل تعدته لتشمل كل مجالات الحياة في النقل والزراعة والصناعة وتربية
الحيوانات وغيرها.

فالصراع على أسباب الحياة كان ظاهراً عند العرب، فقد كانت البادية تعتمد على
الاقتصاد الرعوي، فالقبائل العربية تستقر في الأماكن التي يتوفر فيها الماء
وتصلح لرعي الإبل والأغنام والماعز، وعندما يشح الماء فإنها تضطر للانتقال
مما يجعلها في حروب مع بعضها للحصول على الموارد الأفضل، كالصراع على
الكلأ والماء، وهذا يبين لنا سبب تتبع البدوي مساقط الغيث ورحيله وراء الماء،
فالأرض الخصبة بالماء والعشب كانت مطمئناً لكل قوي، وذلك بسبب غياب
السلطة التي تحكم أهل البادية، ومن تلك الحروب التي دارت بين بكر وتميم،
وبلغت نحو خمسين يوماً كان سببها الصراع على أسباب الحياة، فقد كانت هاتان
القبيلتان متجاورتين في منازلهما ومياههما، فأرض تميم أكثر خصباً، فكانت بكر

(1) شاكر مجيد كاظم، حرب المياه عند العرب قبل الإسلام، المؤتمر العلمي الدولي الثامن، كلية
التربية، جامعة واسط، ص 348-349.

تغزو أرض تميم وترعى بها إذا أجدبوا، فإذا أرادوا الرجوع لم يجدوا شيئاً يظفرون به إلا اكتسحوه، وكان للفرس دور كبير في تأجيج الصراع بينهما، فالقوي يأكل الضعيف ويسلبه وينهب أملاكه⁽¹⁾. فهو في نزوعه إلى الحرب كان يعتقد أنه يدافع عن كرامته وعزته ويحمي جواره، حتى غدت الحياة الجاهلية صورة للحرب نتيجة لنفسيات العرب التي كانت تتصف بالبداءة في الأخذ بقيم الأشياء وتقديرها، فهم شديدي العنف وتنزوا بهم الانفعالات نزوا للخير والشر، فيسرفون في تقدير القيم كما يسرفون في انتهاكها، يقول القطامي:

وكن إذا أغرن على ضباب

وأعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الضباب على حلول

وضبة إنه من حان حانا

وأحياناً على بكر أخيناً

إذا لم نجد إلا أخانا⁽²⁾

كان العرب يقتتلون على المياه والآبار والمرعى وكل مظاهر الخصب وما يجني من القوافل وطرق التجارة وفي سبيل الكرامة وعزة النفس، وحماية الجار والعرض، وفي الثأر، والنجدة للصديق أو الحليف أو القريب، ولأجل الرئاسة وزعامة القبائل، وفي سبيل النفوذ الخارجي الذي كان بين المناذرة والغساسنة في ظل الفرس والروم، وأخيراً في سبيل الفقراء والحق على الأغنياء، كما حدث من الصعاليك والغربان، وعلى هذا الأساس قامت حروب العرب التي لم تنقطع⁽³⁾.

(1) ابتسام نايف صالح، مرجع سابق، ص 50.

(2) أمال كبير، مرجع سابق، ص 99.

(3) عبد الحميد سلامة، مرجع سابق، ص 100.

وكذلك من الأسباب الاقتصادية وقوع شبه الجزيرة العربية في ملتقى القوافل التجارية وخطوط الملاحة بين ثلاث إمبراطوريات أزلية، يطمع كل منها في بسط السيطرة على هذه الرقعة الجغرافية عبر إذكاء عوامل الفرقة والتشتت وإشغال فتيل الانقسام بين قبائلها بصورة تُشغلهم عن المواجهة الموحدة في أغلب الأحيان.

قد أثرت الحروب التي قامت بين القبائل العربية على الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية وما جاورها آنذاك ولا سيما الطريق البري المخصص الذي تسلكه القوافل التجارية بين بلاد اليمن وجنوب بلاد الشام عبر الطائف ومكة ويثرب، فمكة ما أن يغلب عليها الطابع التجاري؛ نظراً إلى طبيعة تضاريسها الجافة تقع بوايد لا ينبث زرعاً، وتتحكم بطرق القوافل التجارية العابرة المحملة بصنوف الطيب والعقاقير والتوابل والبخور والعطور الثمينة والتي تأتي بالخير الوفير، فاستفادت من مكانتها الدينية عند العرب في حماية قوافلها التجارية، والسبب في ذلك أن شبه الجزيرة كانت حلقة الوصل بين تلك المناطق والتي تصل إليها بشبكة تجارية برية وبحرية والتي كانت تُدار بواسطة التجار العرب أو الدول العربية، تتخلله فروع تتجه في كل المناطق المجاورة لها⁽¹⁾.

شكلت الحروب والنزاعات المسلحة وسيلة حتمية للحصول على العيش وتحقيق الحرية والكرامة، لنيل الرزق وضمان البقاء، بيد أنها تحولت بعد ذلك إلى مبعث اعتزاز، ويتخذها بعضهم غاية ومفخرة ويعدون لها المشغلة الأساسية لحياة الرجل

(1) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 35.

فيعدونه لها، ويعدونها امتحان رجولته وبأسه ووسيلة للظفر بإعجاب النساء والرجال⁽¹⁾.

لقد نتج عن تلك الحروب التي دارت بين القبائل العربية خلال فترة قبل الإسلام ظهور قبائل عربية قوية برزت على مسرح الأحداث آنذاك، كما أنها استطاعت بسط نفوذها على مناطق جديدة خارج القبيلة، وعلى عكس ذلك فقد أدت تلك الحروب بين القبائل المتصارعة إلى ضعف القبائل سياسياً بسبب التنافس على السيادة، علاوة على ذلك فإن تلك الحروب كانت سبباً في انتقال الحكم في بعض القبائل من أسرة لأخرى، ومن شخص لآخر أيضاً، وكذلك ظهور تحالفات بين القبائل العربية لمواجهة أعدائها الأقوياء، إما من أجل الغزو أو الأخذ بالتأثر من أعدائهم الأقوياء⁽²⁾.

وتحت وطأة الظروف الصحراوية القاسية، والظروف الاقتصادية الصعبة تحول اضطراب الإنسان الجاهلي إلى عداوة أفرغها في مجتمعه، فهو يرى شح الطبيعة وغدورها في هيئة المجتمعات المترفة بامتلاك مقومات الحياة، بل إنه يرى أن هذه الطبيعية تقتقر إلى الإنصاف والعدل في عطائها، حين أوجدت في جوار المناطق المجذبة مناطق خصبة، مما أشعر أبناء المناطق المجذبة بأن الحياة لم تحرم الناس جميعاً كما حرمتهم، وإنما أغدقت عليهم طائفة ماء لا ينضب، وكلاً لا يجف، وثروة لا تهددها الطبيعة في كل لحظة بالفناء، بقدر ما سلطت عليهم من سياط الحرمان جفافاً وجذباً وفقراً، والنتيجة النفسية لهذا... نشأة عقدة الفقر في نفوسهم، ولو أن الطبيعة سوت بين أهل الصحراء عطائها لما نشأت عواطف

(1) علي الجندي، مرجع سابق، ص 30.

(2) محمد وقيع الله، مرجع سابق، ص 21.

السخط والتمرد، ولما اضطر البدوي إلى شن الغزوات لكي يفرض الأمن الذاتي واستمرار الحياة⁽¹⁾.

المبحث الثالث: تفاخر الشعراء العرب قبل الإسلام بالحرب وأثرها على حياتهم الاجتماعية احتلت النزاعات والحروب المسلحة عند العرب قبل الإسلام ببالح العناية والاهتمام، فضمنوها مساحات واسعة في أشعارهم ومسروقات أخبارهم، نظراً لانعكاساتها البالغة التي صبغت واقعهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وبرغم إدراك الجاهليين العميق لعواقب الحروب حق المعرفة، ومع ذلك لم يسع لتجنبها، بل فاحروا بارتياح مواطن الاستهانة بنارها؛ ومثال ذلك ما وصفه حسان بن مرة فيقول:

تأهب مثل أهبة ذي كفاح
فإن الأمر جل عن التلاحي
وإني قد جنيت عليك حرباً
تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح منها
فتى نشبت بآخر غير صاح⁽²⁾

يرى اللغويون أن الغزو: "هو السعي والمطالبة، وهو مورد من أهم موارد كسب العيش والرزق عند الأعراب، ولا سيما في وقت جفاف وانحباس الأمطار وقسوة الطبيعة، وانقطاع السيول وإمساك السماء لمائها على الأرض ونفورها منها ولعله أحد أسباب نشوب الحروب بين هذه العشائر، كما يقع الغزو لعدة أسباب أخرى

(1) أمال كبير، مرجع سابق، ص 103.

(2) محمد وقيع الله، مرجع سابق، ص 23.

لا علاقة لها بانحباس المطر، بل بسبب طمع القبائل ببعضها بعضاً، ولا سيما القبائل التي ترتبط بمعاهدات دفاعية مع قبائل أخرى⁽¹⁾، كما شكلت الخصومات الشخصية الذاتية بين سادات القبائل، كعقود الزواج والطلاق، والحسد والتنافس، دافعاً للغزو، ومن كلمة نابية قد تثير حرباً بين قلبي شخصيين متباغضين أو شاعرين خصمين، ومن عمل طائش أو سفيه جاهل يثير حرباً وغزواً بفعل النعرات القلبية، ودفاع الجانب الآخر عن رفيقهم حميَّةً وغيرةً، وفضلاً عن تلك المبررات الموضوعية، ومسببات تافهة لا قيمة لها تجد لها مع ذلك مكانة في القلوب، فتثير غزواً وتسبب نكبة لمجموعة بسطاء ومساكين، لا علاقة لهم في كل خصومة.

فإن كان الغزو هو حاصل ظروف طبيعية اقتصادية كان أساسه طبيعة البادية القاسية، فالعامل الاجتماعي هو قائم على التمسك بالثأر، بوصف ظاهرة سلوكية وفكرية استحوذت على وجدان البدوي وعقليته، بحيث لا يهدأ له بال ولا يزوق السكينة إلا باسترداد شرفه بيده ويل قوده، وتشتد المصيبة عندما لا يكتفي الفرد بالثأر من القاتل عينه، وإنما يصمم على محو وإفناء العشيرة واستئصال القبيلة برمتها⁽²⁾، وفي ذلك يقول الشاعر سالم المهلهل في الأخذ بالثأر قوله:

لا أصلح الله منا من يصالهكم
حتى يصالح ذئب المعز راعيها
وتولد البغلة الحمراء بلا ذكر
وأنت تحيا من الغبراء تليبيها

(1) عبدالرحمن عفيف، مرجع سابق، ص 75.

(2) محمد عبدالمنعم، الشعر الجاهلي، ط2، الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م، ص ص 91-92.

وتحلب الشاة من أسنانها لبناً

وتسرع النوق لا ترعى مراعيها

فقد أَلَمَّت الظروف الاجتماعية بالأعراب وأجبرتهم على سلك هذا المسار الصعب والوعر، مجبرين لذلك أم مدفوعين بالرغبة، نعم يكن أمام الأعرابي للمحافظة على حياته وكسب الرزق غير هذا الصراع والقتال⁽¹⁾، فعادات الانتقام والثأر التي تخلقها النزاعات بالغة الخطورة والقسوة، نظراً لمساهمتها في إذكاء نار الفتن، إذ يُفرض عليها الهلاك سواء كان مستهدفاً الفرد أو القبيلة أن لا يهدا لهم قرار حتى يتمكنوا منهم ويأخذون بثأرهم، وتقادياً للسخرية والتهكم والاستهجان من الآخرين سواء مس الأمر كرامة الفرد أو القبيلة، إلى جانب أنها تخلق نزاعات وصراعات متعاقبة، لا تنتهي إلا بتدخل أهل الرأي والعقل؛ خوفاً هلاك الطرفين المتحاربين⁽²⁾.

إن جميع قصائد العصر الجاهلي ارتبطت ارتباطاً كبيراً بالصراعات والحروب، أو ما يتصل به من خراب ودمار اجتماعي واقتصادي، فقد كانت الحروب مظهراً واضحاً من مظاهر الحياة العربية قبل الإسلام، وكان لدى العربي إكبار وتعظيم للبطولة والشجاعة والاستعداد للخطر، احتلت الحرب عند العرب في العصر الجاهلي باهتمامهم، فلم تكن الحرب مجرد حدث عابر، فجسدوها في أشعارهم ومرويات أخبارهم، نظراً لانعكاساتها الخطيرة وتأثيرها في حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إذ شكل الشعر العربي الجاهلي أداة حساسة التي كان الشاعر الجاهلي يوظفها في شعره لتصوير واقعه، إما عن طريق الرصد الواقعي

(1) المرجع نفسه، ص 95.

(2) ليلى نعيم عطية الخفاجي، مرجع سابق، ص 20.

أو عن طريق الرؤية الفنية والخيال، وكانت محاولاته تلك تبرز نزاعه مع محيط الطبيعية الصحراوية القاسية، وصراعه مع أخيه الإنسان.

لذا انخرط وراء قوى الحروب والدمار والخراب لامتلاك غريزة البقاء والحياة، ومن خلال الشعر حاول الشاعر الجاهلي تقمص الأفعال على مستوى الكلمة بدافع من الانفعال المثير للرغبة في البناء وإعادة التوازن لعناصر الحياة التي قد تعمل القوانين الكونية المختلفة على الإخلال بتوازنها⁽¹⁾.

لقد عرف العرب قديماً بالشجاعة والجسارة وعدم المبالاة بالموت، وذلك إما دفاعاً عن قبيلتهم التي ينتسبون إليها، أو خوفاً عن نساؤها ودفاعاً عنهن، وصوناً لهن من الأسر والمهانة، ويذهب ابن خلدون أن عرب البر أو البدو كانوا أكثر بسالة من أهل المدن؛ نظراً لانغماس أهل المدن في النعيم والرفاهية، واعتمادهم على الوالي والحاكم في الدفاع عن أموالهم وأنفسهم⁽²⁾.

يعد النتاج الشعري المتصل أيام العرب في الجاهلية مادة تاريخية وجمالية وأدبية خصبة، ولا يكاد نص شعري جاهلي يخلو من ذكرهم لأخبار أيام العرب ووقائعهم الحربية، إشارةً أو تصريحاً مباشراً أو دلالة رمزية، ومن هنا، فإن الدارس لشعر أيام العرب يجد نفسه يجول في أرجاء الشعر الجاهلي ليكشف أصداء أخبار وحوادث تلك الأيام التي جاء ذكر بعضها في أبيات متناثرة أو في قصائد طوال ضمن أعراض الشعر العربي المعروفة⁽³⁾، وفيما يهتجون نارها مثلما ينعكس في قول عنترة بن شداد في بيته:

(1) أمال كبير، مرجع سابق، ص 110.

(2) حمدي حسين علوان، الحياة العامة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام، مجلة الدراسات التاريخية والحضارة، العدد 14، 2012م، ص 168.

(3) أمال كبير، مرجع سابق، ص 115.

خلقتُ للحرب أحميها إذا بردت
وأصطلي نارها من شدة اللهب
وكذلك عبر عنها الشاعر عامر بن الطفيل:
وأنا ابن حرب لا أزال أشبها
وأوقدها إذا لم توقد

لقد شكلت النزاعات والمعارك أحد أبرز المظاهر والدوافع التي تثير قريحة نظم الشعر والشعراء، فقد ذخرت مدوناتهم أشعارهم بها، وتفاخروا بحشود جيوشهم وتباهوا بالضحايا والسبايا وعدد القتلى وشن الغزوات، وبكوا قتلاهم بكاءً مرّاً، وهجوا عدوهم⁽¹⁾، ونشروا أخبارهم وذكروا جنبه وفراره إن لم يكن الجانب المنهزم يقف مكتوف الأيدي، بل يثار بأشعار كلها قوة ليحط من هيبة الشامخين المنتصرين ويطيح بغرورهم فيعظم قومه ويذكر انتصاراتهم السابقة، ويحاول تخفيض أثر الهزيمة ويتوعد أعداءه بالويل والهلاك وغير ذلك مما يخيفهم ويبعث في قومه العزة والقوة والأمل، الحروب في العصر الجاهلي مهدت للشاعر مجالاً واسعاً لقول الشعر، فأمدته بموضوعات شتى من فخر ووصف وهجاء ورثاء واعتذار وتهديد.

وهذا يعني من ناحية أخرى أن للحرب أثر عميق واسع المدى على الشعر، وللشعراء أيضاً أثر كبير على الحرب، فهم الذين يثيرون القوم ويهيجون غضبهم، وكان بإمكانهم أيضاً تهدئة ثأرهم، وكانت كلماته الحكيمة الصائبة تنزل على

(1) علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ط3، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 1966م، ص288.

القلوب بردًا وسلامًا فيهدأ الغضب وتتلاشى الثورة، إذ كان للحرب أثر كبير في الشعر، فلقد كان للشعر من ناحية أخرى أثر مميز في الحرب كذلك فحمية الشاعر وغيخته الشديدة وحماسه القوية في أبيات ولو قليلة كانت كفيلة بأن تثير القوم وتلهب غضب القبيلة وتجعلهم كالبركان لا يلبث أن ينفور وتتطاير حممه، ويقدر حرارة الأبيات وقوة المعاني تكون حماسة القوم وثورتهم⁽¹⁾.

إذ تعتبر الحرب مظهرًا واضحًا من مظاهر الحياة العربية قبل الإسلام وكان لدى العربي إكبار وتعظيم للبطولة والشجاعة والاستعداد للخطر، فلا نعجب أن نجد أن أغلب القصائد الجاهلية أو كلها لم تخلو واحدة منها من الحديث عن النزاعات والحروب أو ما يتصل بها⁽²⁾، وفي ذلك يقول الشاعر امرؤ القيس والذي خاض غمار حروب طويلة مع قبيلة أسد التي أقدمت على قتل والده، وعندما تأمل أحداث الحرب وآلمها كشف عن ذلك في قوله:

الحرب أول ما تكون فتية

تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا استعرت وشبت ضرامها

عادت عجوزًا غير ذات خليل

شمطاء جرّت وتكّرت

مكروهة للشم والتقبيل

(1) المرجع نفسه، ص 68-69.

(2) كامل عبد ربه حمدان، الصورة البشعة للحرب في الشعر الجاهلي، مجلة القادسية في الآداب

والعلوم التربوية، العددان (3-4)، 2007، ص9

فضلاً عن كون الحروب تدمر القوة البشرية؛ لأن أيام العرب الجاهلية ووقائعها وملاحمها أفنت أعداداً هائلة منهم، والمثير للدهشة أن بعض قبائل العرب تلك الأيام تفاخرت بتلك الظاهرة المدمرة للعمران ويقول مباحياً:

إننا لمن معشر أفنى أوائلنا

قول الكماة ألا إبن المحامونا

فالحرب غيّرت ملامح صورة الشاعر فدفعته إلى هذه الثورة على الحرب وآثارها، وجعلته يوازن بينها وبين الطعم المر، فضلاً عن تعطيلها لفاعلية الأفراد ونتائجهم، وانشغالهم بالمطالبة بالتأثر وسبل الانتصار على الأعداء، ولعل شاعر السلم في الجاهلية زهير بن أبي سلمى يقف في مقدمة الشعراء الذين رسموا صورة ذميمة للحرب ومعطياتها المشؤومة بعد أن أطل التأمل في آثارها وما أخفت من دمار فضمن ذلك قوله:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

وتضر إذا ضريرتموها فتضرم⁽¹⁾

للحرب نتائجها السلبية على الفرد والمجتمع حيث عبّر عنها الشاعر بأقوال تؤكد حتمية كراهيته للحرب ودفع ضرورها وعدم إشعال نارها إلا للظالم المعتدي فهم مضطرون إلى خوض غمارها وأعدوا لها العدة اللازمة لاحقاً في الاشتراك بها بل دفعاً لشرها كما هو الحال عند الشاعر أوس بن حجر الذي رأها شراً اضطر إلى توقيفه عندما قال:

(1) كامل عبد ربه حمدان، مرجع سابق، ص 11.

وإنني امرؤ أعددت للحرب بعد ما
رأيت لها ناباً من الشرّ أعصلا

وفي شرور الحرب ونتائجها ومرارتها عند العرب فيما قال الشاعر عبيد بن الأبرص، وكشفه عن صراعه النفسي الذي وجهه للموازنة بين الوقوف إلى جانب قبيلته ومساندتها في حروبها دفعاً للظلم وانتصافاً للكرامة، وبين الرغبة الملحة في إطفاء نار الحرب وشرورها وعدم إيقادها إلا للظالم المعتدي حيث قال فيها:

فاذهبهم ما أذهب الناس قباهم

ضراس الحروب والمنايا العوضاقب

كما أن للحرب نتائجها السلبية على الفريق المنهزم إذ تعتبر الحرب مصدراً للرق نظراً لأهمية ما ينتج عن الحرب من أسرى وسبي واسترقاق.

الخاتمة

يتبين من البحث أنه مهما قيل في الحروب وويلاتها وآسيها وبصرف النظر عما التحق بالإنسانية من دمار وخراب فقد كانت الأداة المختارة للانتخاب الطبيعي بين الأمم والجماعات، كما كانت عاملاً مساعداً في إهلاك الشعوب الضعيفة وعدت النزاعات المسلحة عند العرب في الجاهلية هاجساً جاثماً لازماً للفرد في جل أوقاته، ويتضح من البحث أن الظروف البيئية القاسية التي يعيش فيها أغلب قبائل العرب كانت السبب الرئيسي في جعلهم يضاهون على المقومات الاقتصادية، فيما بينهم، وحثمت عليهم أن يكونوا حذرين يخشون إزاحتهم من موطنهم، وأن أكثر العوامل أثراً في الصلات بين القبائل هو العامل الاقتصادي والثار، وأوضحت الدراسة أن العرب قبل الإسلام قد نهجو نهج من سبقهم من الثقافات في حروبهم من حيث الجاهزية لها، والعادات المعروفة

وإيمانهم إنها عقيدة مقدسة، وأن العلاقة بين العربي والبيئة علاقة تأثر وتأثير تعكس عمق الاستجابة النفسية الانفعالية والمشاركة الوجدانية بينه وبين عناصرها، وبينت الدراسة، إن قلق العربي على حياته أمام الصحراء جعله في صراع مستمر معها وصار ينظر إلى الصحراء على أنها مكان الانفصال، ويتضح من الدراسة إن اختلاف القبائل في النسب والعرق سبب لا يستهان به في تفجير النزاعات والحروب، حيث إن كل قبيلة تسعى إلى فرض هيمنتها على القبائل المنافسة، كما أن غياب سلطة مركزية موحدة يخضع لها الجميع، وعدم وجود قيادة عليا تتولى شؤون البلاد جميعاً، هو الركيزة الأساسية في حدوث الصراعات، وانتشار الفوضى، ومن خلال الدراسة تبين أن القتال أصبح سنة من سنن العصر الجاهلي، وعقيدة مقدسة يحققون بها الوجود والبقاء في بيئة تسيطر عليه القوة وتتحكم فيه، ولهذا استحوذت الحرب عند العرب في الجاهلية بعناية كبيرة، فجسدوها في أشعارهم ومطولاتهم ورواياتهم وأخبارهم، لانعكاسها الخطير والمؤثر في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

قائمة المراجع

- 1- عبد الرحمن عفيف، الشعر وأيام الحرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، دار الفجر العربي، بيروت، 1982م.
- 2- عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديماً، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط3، 2002م.
- 3- علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1966م.

4- محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، 2009م.

5- محمد عبدالمنعم، الشعر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1973م.

6- نوري حمودة القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، ط2، مكتبة النهضة العربية، 1984.
الرسائل العلمية:

1- ابتسام نايف صالح، صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، العراق، غير منشورة، 2006م.

2- رنا طعيمة حسين الصافي، الأثر الجغرافي وأبعاده في بلورة الفكر الديني في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة دكتوراه في التاريخ العربي.
3- ضيف الله محمد عواد، صورة الشاعر المحارب في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، العراق، غير منشورة، 2013م.

4- ليلي نعيم عطية الخفاجي، البواعث النفسية في شعر فرسان عصر ما قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، غير منشورة، 2002م.

الدوريات:

1. أمال كبير، أيام العرب في الجاهلية، بانوراما شعرية مرعبة، مجلة حوليات التراث، العدد 15 - 2015.

2. حمدي حسين علوان، الحياة العامة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام، مجلة الدراسات التاريخية والحضارة، العدد 14، 2012م.
3. شاكر مجيد كاظم، حرب المياه عند العرب قبل الإسلام، المؤتمر العلمي الدولي الثامن، كلية التربية، جامعة واسط.
4. كامل عبد ربه حمدان، الصورة البشعة للحرب في العصر الجاهلي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 4، 2007م.
5. محمد وقيع الله، نظرة معاصرة إلى أيام العرب وحالة انفراط السلام، مجلة البيان، العدد 312، 2013.